المحاضرة الخامسة: نماذج من الكتابات التاريخية الجزائرية خلال القرن 19م المتعلقة بالمقاومة الوطنية

01/ كتابات "حمدان بن عثمان خوجة": ولد حمدان خوجة سنة 1773م، كرغلي من ام جزائرية واب تركي، ينتمي الى أسرة حضرية عريقة من جهة الثروة والجاه، شغل منصب مستشار اول لدى الداي حسين، وبعد الاحتلال الفرنسي تولى منصب عضو في مجلس بلدية الجزائر، قاوم حمدان خوجة الاحتلال الفرنسي بلسانه وقلمه، فاضطهده المستعمر، ونفي الى فرنسا، فأقام بها مابين 1833-1836م، ثم انتقل الى القسطنطينية، فاشتغل بالتأليف والصحافة. كانت وفاته مابين 1840-1841م.

من اشهر كتاباته نذكر:

-كتاب المراة: وقد الفه في باريس باللغة العربية سنة 1833م، ويشمل شكاوي واحتجاجات وعرائض وجهها الى السلطات الفرنسية، وقد ختم حمدان خوجة في اخر الكتاب قائلا:"ان الكتاب مجرد تقرير يريد من خلاله ان تسهر الحكومة الفرنسية على قضية ايالة الجزائر، وأن تأمر على الاقل بأن تقوم اللجنة الافريقية التي ارسلت بالاستماع الى شكاوي وتبليغات سكانها لكي يظهر الحق ويزهق الباطل، ثم يضيف (ما انا الا صدى للاحداث ولسان لابناء وطني).

تناول كتاب المراة اوضاع الجزائر الطبيعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بصفة شاملة، وقد عبر من خلاله حمدان خوجة عن مواقفه من الاحداث، وأبدى رأيه في القضايا المطروحة.

-اتحاف المنصفين والادباء في الاحتراز من الوباء : الفه باللغة العربية سنة 1836م، وتم ترجمته الى التركية واهداه الى السلطان محمود الثاني، وكان يهدف من ورائه الى تطبيق افكاره التي حث فيه العالم الاسلامي على اليقظة.

-مذكرة قدمها الى اللجنة الافريقية في جويلية سنة 1833م، ويعتبر الوجه الثاني لكتاب المراة.

02/ كتابات محمد بن ابي شنب: هو محمد بن العربي بن محمد بن ابي شنب، ولد سنة 1866م، توفي سنة 1929م، ولد بالمدية وعمل استاذا للعربية في كلية الجزائر، وقد منحته الجامعة لقب دكتور في الاداب سنة 1920م، يحسن الفرنسية وملم بلغات اخرى. قام بعمل جبار في نشر التراث العربي الاسلامي، استطاع ان ينشر العديد من الكتب في التاريخ والرحلات التي تخص تاريخ الجزائر، وجد مخطوطاتها في الجزائر.

03/ مذكرات الحاج احمد باي: يقول ابو القاسم سعد الله انه خلال سنة 1968م عثر في الارشيف الوطني الفرنسي عن النسخة الخطية الفرنسية للمذكرات، ثم واصل البحث عن النص العربي الاصلي للمذكرات لكن دون جدوى. والمذكرات عبارة عن سرد للاحداث التي جرت بين الجزائريين والفرنسيين من سنة 1830-1848م،

وهي تحتوي على اراء الحاج احمد باي في سياسة الحكم وفي مفاوضته مع الفرنسيين، وعلاقاته الداخلية مع زعماء المعارضة ومع اليهود، وموقفه من باي تونس والسلطان العثماني.

04/مذكرات الامير عبد القادر : كل ما ألفه الامير قد كتب أثناء سجنه بفرنسا(1848-1852م)، ماعدا "المواقف" وديوان شعره، ومن هذه الاعمال المؤلفة خلال سجنه، الكتاب المسمى بالسيرة الذاتية، ويبدو ان الامير قد كتب وأملى حياته على عدد من المؤلفين الاوروبيين والمسلمين.

05/ كتاب "تحفة الزائر في الجزائر والامير عبد القادر" لمؤلفه "محمد ابن الامير عبد القادر": الامير محمد باشا هو اكبر ابناء الامير عبد القادر، ولد اثناء تصاعد الكفاح بين الجزائريين بقيادة والده والفرنسيين، ثم عاش الاسر مع والده من 1848_1852م ثم في بروسة سنتين فدمشق.

الف كتاب "تحفة الزائر في ماثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر"، وطبع للمرة الاولى في الاسكندرية سنة 1903م، وهو في جزئين بمجلد واحد، وقد اهدى كتابه (تحفة الزائر) الى السلطان عبد الحميد الثاني في عبارات ضخمة ومطولة، اما الطبعة الثانية فصدرت بتحقيق "ممدوح حقي" بعنوان "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر"، ولم ينبه على ذلك العنوان رغم انه ليس من وضع المؤلف.

يشتمل الكتاب على تاريخ الجزائر في العهود السابقة للاحتلال، ولكن باختصار، وتعتبر حياة الامير عبد القادر الى 1847م هي حياة الجزائر ايضا، لذلك يمكن اعتبار الجزء الاول تاريخا للجزائر كلها مابين 1830-1847م، وتاريخ الجزائر مابين 1847-1883م غير مدروس في الكتاب، وذلك لان الامير محمد يبقى متتبعا في كتابه تحركات والده وليس تطورات بلاده، كما ان القسم الاخير من الكتاب ضعيف من الناحية التاريخية، كونه اقتصر على الاشعار المدحية والرثائية ومقالات الصحف ونحو ذلك.

وعموما فان الكتاب يضم وثائق هامة تجعله مصدرا مهما، وذلك لتمكن المؤلف من الاطلاع على اوراق العائلة واستعمالها، وقد جعل حرصه على تدوين ماثر والده الكتاب يخدم ايضا وطنه الجزائر.

06/ كتاب "فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على اوطانها" او "تاريخ قسنطينة"، لمؤلفه "صالح العنتري": كلف صالح العنتري من طرف الضابط "بواسوني" (رئيس المكتب العربي بقسنطينة) بتأليف كتاب عن قسنطينة وبايلكها، فوضع له منهجا وخطة، وشرع في العمل سنة 1843م وانتهى منه سنة 1846م، فكان الكتاب عبارة عن سرد مختصر لبايات قسنطينة، استعرض فيه الاحداث السياسية والعسكرية والادارية، ويبدو ان العنتري كان متحاملا على الاتراك وكذا على الحاج احمد باي (قاتل والده)، وفي ذات الوقت أشاد بالفرنسيين.

07/أحمد افندي الجزائري وتقييده عن الحملة الفرنسية على الجزائر: يذكر سعد الله ان المؤلف قد يكون من كراغلة الجزائر الذين شردتهم فرنسا بعد الاحتلال.

ذكر من خلال مخطوطه وسرد اخبار الانزال الفرنسي في الساحل والمعارك الاولى التي واجههم بها الجزائريون، وهو بذلك يقدم لنا رواية دقيقة رغم اختصارها عن الحملة الفرنسية باعتباره شاهد عيان ومشارك فعال في عدد من الاحداث.

08/ علي بن عيسى وتقييداته عن حصاري قسنطينة : وهو الرجل الثاني بعد احمد باي في تسيير شؤون بايلك الشرق، يوجد النص الفرنسي لهذه التقييدات بأرشيف وزارة الحربية الفرنسية بفانسان، وتؤكد التشطيبات التي بها والتصحيحات التعبيرية انها مسودة كتبت على عجل. وتكتسي تقييدات ابن عيسى اهمية بالغة كونها شهادة قائد تولى الدفاع عن مدينة قسنطينة (1836-1837م)، والوثيقة تعتبر تدعيما لمذكرات احمد باي .

09/ صالح بن محاية وتقييده عن ثورة الاوراس سنة 1879م: هو تقييد صغير عثر عليه في الارشيف الفرنسي الاستاذ عبد الحميد زوزو، ورغم صغر حجمه الا ان مؤلفه صور لنا بدقة وتفصيل احداث ثورة 1879م بالاوراس ووجهة نظره من الاحداث. ورغم ان صاحب التقييد كان مواليا للادارة الفرنسية الا انه يغطي جوانب هامة من التاريخ المحلي.

أهمية الكتابات التاريخية الجزائرية: وتظهر لنا قيمة هذه الكتابات في تعبيرها عن وجهة النظر المحلية امام طغيان الوثائق الاجنبية على التاريخ الجزائري. وتصويرها للواقع الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي ووصفها لمختلف المعارك والاحداث خلال فترة القرن 19م بشكل تفصيلي واضح وحقيقي يكسبها اهمية تاريخية كبيرة.